المنهج النبوي في القيادة والإدارة -24

# مشكلة ليخرجن الأعز منها الأذل .. كيف تصدى لها رسول الله؟

نشر بتاريخ 10 مايو 2021

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

لم تكن غزوة بني المصطلق من تلك الغزوات الكبيرة التي غيرت من مجرى التاريخ كغزوة بدر أو فتح مكة أو غيرها، وإنما كانت من الغزوات الصغيرة والتي غنم فيها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم خلال عدة أيام وعاد إلى المدينة المنورة، ولكن على الرغم من ذلك فإن غزوة بني المصطلق تُعد من الغزوات المهمة لأن حدثت اثناءها بعض الأمور والمشاكل التي كادت لتعصف بالمجتمع المسلم الوليد، لولا أن تداركه رحمة من اللّه سبحانه وتعالى للحافظ على هذا المجتمع، ثم كان لوجود رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عنصر مهم جداً في حل تلك المشكلات إذ أنه تصدى لهذه الحوادث بذكاء القيادي المتحكم في نفسه وفي أدواته بصورة منقطعة النظير.

وربما لسنا معنيين هنا بالتحدث عن الغزوة نفسها، وكذلك لسنا معنيين بالتحدث عن جميع تلك المشكلات وإنما تكفينا واحدة منها في هذا المقام، وهي كالتالي كما تشير كل كتب السيرة النبوية ومنها سيرة ابن هشام، بالإضافة إلى كتاب (أمير بن محمد المدري) وكتاب مرويات غزوة

بني المصطلق الذي أصدره المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

تقول المراجع،،

خرج في غزوة بني المصطلق عدد كبير من المنافقين مع المسلمين، وكان يغلب عليهم التخلف في الغزوات السابقة، لكنهم لما رأوا اطراد النصر للمسلمين خرجوا طمعًا في الغنيمة. وعند ماء المريسيع كشف المنافقون عن الحقد الذي يضمرونه للإسلام والمسلمين، فلما انتصر المسلمون في المريسيع [وهو الاسم الآخر لغزوة بني المصطلق] سعى المنافقون إلى إثارة العصبية بين المهاجرين والأنصار.

وبعد الانتهاء من أحداث الغزوة وجني الغنائم، يحكي شاهد عيان هو جابر بن عبد اللّه الأنصاري ما حدث عند ماء المريسيع، وأدى إلى كلام المنافقين لإثارة العصبية وتمزيق وحدة المسلمين، قال: (كنا في غزاة فكسع [أي وكزه من غير قصد] رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقال: «ما بال دعوى الجاهلية ؟».

قالوا: يا رسول اللّه، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: «دعوها فإنها منتنة» فسمع بذلك عبد اللّه بن أبي فقال: فعلوها ؟ أما واللّه لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي صلى اللّه عليه وسلم

فقام عمر فقال: يا رسول اللّه دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه».

وفي رواية قال عمر بن الخطاب: مُرْ به عباد بن بشر فليقتله، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، لا، ولكن أذن بالرحيل»، وذلك في ساعة لم يكن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يرتحل فيها، فارتحل الناس [بمعنى أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أمرهم بالرحيل وعدم أخذ قسط من الراحة بعد أحداث الغزوة].

ثم مشى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس [أي حوالي يوم ونصف تقريباً]، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً.

يقول ابن هشام في السيرة النبوية وإنما فعل ذلك رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبد اللّه بن أبي، ونزلت السورة التي ذكر فيها المنافقون في ابن أبي ومن كان على مثل أمره، فلما نزلت أخذ رسول اللّه بأذن زيد بن أرقم، ثم قال: هذا الذي أوفى اللّه بأذنه.

وبالطبع هنا العديد من التفاصيل الدقيقة في الموضوع لا نريد الاتيان بها وذلك بسبب أننا هنا لا نسرد القصص وإنما نحن نتحدث عن القدرة النبوية

القيادية في إدارة وحل المشكلات، فلنتدارس كيف حل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم هذه المشكلة.

وربما يمكن الملاحظة أن قرار رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم جاء بصورة سريعة ومفاجأ لجميع الصحابة رضوان اللّه عليهم، إذ أمرهم بالتجهز للرحيل من غير أخذ قسط من الراحة، وذلك على الرغم من الإجهاد الكبير الذي بذله المسلمون أثناء الغزوة والأحداث المرادفة، ولم يكن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يتخذ أي قرار كبير مثل هذا من غير أن يستشير أو يفكر فيه، إلا أن الموقف كان من الواضح أنه يسير نحو التفجر، لذلك كانت أول ردة فعل منه صلى اللّه عليه وسلم حينما قال (ما بال دعوى الجاهلية ؟) والجاهلية هي هي التي كان يحاربها الإسلام بكل أفكارها ومضامينها وأبعادها، فكأنه صلى اللّه عليه وسلم يقول بعد كل هذا هل نعود إلى نقطة البداية، ثم أكمل جملته بقوله (دعوها فإنها منتنة)، بمعنى أن دعوة الجاهلية التي تنمي القبلية والطائفية والتنازع على الأساس العرقي والمذهبي وغيرها من النزعات التي تشبه النزعات الطائفية كلها في بوتقة واحدة إنها منتنة.

فكانت ردة فعله صلى اللّه عليه وسلم بثورة الحدث أو ما يراد للحدث أن يصل إليه، فحرك الجيش كله على الرغم من أن الجيش لم يرتاح بعد، أعطى أوامره صلى اللّه عليه وسلم بالتحرك، فأستمر بالتحرك من غير راحة، الأجسام مجهدة والنفوس متعبة، فلنتصور هذا المشهد، الجميع في حالة

من الاستفزاز وعدم الراحة النفسية والجسدية، ولكن أوامر القائد صدرت بالتحرك، فتحرك الجميع، وسار الجميع لمدة يوم ونصف تقريبيًا حتى بلغ التعب منهم مبلغًا، بحيث نحسب أن النوم كان يداعب جفونهم بل يأخذهم في غفوة من النوم وهم على خيولهم وأبلهم يسيرون، فتتساقط رؤوسهم على رقابهم من شدة التعب والنوم، ولكنهم لا يستطيعون النوم والاستراحة أو التمرد على أوامر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فساروا، وساروا حتى شعروا أنه صلى اللّه عليه وسلم قد غضب من هذا السلوك الذي ينمي حس الجاهلية في النفوس وهو شعور غير مرغوب في الإسلام، حتى إن الرواية تقول إن الصحابة رضوان اللّه عليهم كانوا يعاتبون ويعنفون إي شخص يتحدث في نفس هذا الموضوع وذلك خوفًا من اللّه سبحانه وتعالى ثم من المساس بشعور المصطفى صلى اللّه عليه وسلم، إذ أن الأمر جلل والخطب جسيم ويعارض الفكر والمفاهيم والمنهج الإسلامي، (دعوها فإنها منتنة).

وعندما بلغ بهم التعب مبالغًا، أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الجيش بالتوقف والاستراحة، وعندما شعر الرجال بالأرض كما تشير كتب السير فتقول (فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نيامًا)، لاحظ (فوقعوا نيامًا)، وبعد ذلك لم يفتح هذا الموضوع مرة أخرى في عصر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم مرة أخرى.

**بالإضافة إلى ذلك، ماذا نستفيد من دروس وعبر من غزوة بني المصطلق ؟ أترك هذا الأمر لبحثك عزيزي القارئ، ولننتقل إلى قدرة أخرى من القدرات والسمات النبوية في القيادة.**